د. زريق إبتسام
جامعة أم البواقي
البريد الإلكتروني:ibtissamzarik90@gmail.com

الشبكة المفاهيمية النصية في ظل تضارب المصطلح وتداخله

الملخص:

المنظومة المصطلحيّة شبكة متراصّة محصِّنة للعلم ضابطة لمفاهيمه؛ وبوساطتها تتبدّد الحجب عن المتلقّين للمصطلح من الباحثين والمستهلكين له من الطلّاب، غير أنّ هذه المنظومة قد يكتنفها الغموض إمّا في مصطلحاتها وإمّا في مفاهيمها؛ إذ نلفي من العلوم ما تتضارب مفاهيم مصطلحاته أو المصطلحات نفسها، وهذا راجع إلى التّرجمة أو التّنافس بين الباحثين على إرساء مصطلحات خاصة بتوجّههم، لاسيّما مع التطّور المعرفيّ الذّي تشهده العلوم. وفي ظلّ التّداخل المصطلحي الذّي طال بعض العلوم، نقف عند "لسانيّات النّص"؛ العلم الذّي عرف تداخلا رهيبا في ترجمة مصطلحه الوافد، فضلا عن تداخل مفاهيمه مع فروع معرفيّة أخرى، وبخاصة إذا ما تعلّق الأمر بطبيعة البنية المدروسة أهي نصّ أم خطاب؛ إذ إنّ إشكالات وضع المصطلح ها هنا تشهد تضاربا يؤثر على الطلّاب المستهدفين بحثا وتلقينا.

Summary:

The terminological system is a compact network that fortifies science and controls its concepts. Through it, the veil is dissipated from those who receive the term, including researchers and those who consume it, among students. However, this system may be shrouded in ambiguity, either in its terminology or in its concepts. We encounter sciences whose terminology concepts or terms themselves conflict, and this is due to translation or competition between researchers to establish terminology specific to their orientation, especially with the cognitive development witnessed by the sciences. In light of the terminological overlap that has affected some sciences, we stop at “text linguistics.” The science that experienced a terrible interference in the translation of its new term, in addition to the overlap of its concepts with other branches of knowledge, especially when it comes to the nature of the structure studied, whether it is a text or a discourse. The problems of placing the term here witness a conflict that affects the students targeted for research and teaching.

أولا: بين لسانيّات النّص ولسانيّات الخطاب وتحليل الخطاب:

1- لسانيات النص وما يقع معها من مصطلحات:

أ. لسانيات النّص، علم اللغة النصي أو علم لغة النص:

"المطالبة بلسانيات النص قائمة على أساس النص هنا ابتداءً من النقد الخاص بلغة النظام، على نحو ما طبع البحث اللغوي منذ ف. دي سوسير. ويطالب هارتمان بعلم لغة قائم على أساس الاستعمال، نهج يوصف في الوقت الحاضر بمصطلح "براجماتي"، - ويتم تعميمه فيما بعد بوجه عام، ويستنبط من منابع اخرى (ولا سيما نظرية الفعل الكلامي.)"[1]

ويمكن تعريفها كما عرفها كل من جون يول(G.yule) وجون براون(j.braun) فقالا: "إنها فرع من فروع اللسانيات تعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه الإبلاغي(التواصلي)."[2]

ب. علم النص:

"إن مفهوم "علم النص" ليس بالغ القدم غير أنّه قد ترسّخ منذ عشر سنوات تقريبا؛ ففي المجال اللغوي الفرنسي سمي علم النص (Science du texte)، وفي الإنجليزية سمي تحليل الخطاب (Discours Analysis)."[3]

"يستهدف علم النص ما هو أكثر عمومية، وأكثر شمولية؛ فهو يتعلق –من جهة- بكل أشكال النص الممكنة، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعنى –من جهة أخرى- بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية."[4]

هو علم مرتبط بـ" ظواهر ومشكلات تعالج في علوم ومناح أخرى للبحث، وبخاصة علم اللغة العام... وفي علم الأدب وعلم الأسلوب، وأخيرا في علم النفس وعلم الاجتماع مثلما يكون الشأن في علم الاتصال الجماهيري. وقد عرف من خلال علوم الاجتماع قبل كل شيء منهج للبحث، وهو منهج تحليل المحتوى (Content Analysis)، الذي يمكن أن يندرج ضمن مجال علم للنص متداخل الاختصاصات، ويسري مثل ذلك أيضا على تحليل المحادثة أو الحوار في الطب النفسي أو العلاج النفسي وعلم الاجتماع (في إطار ما يسمى بعلم الاجناس البشرية)."[5]

ج. نحو النص

"هو تيّار جديد جعل من النّص مادّته الأساسيّة، اصطلح عليه في البداية "نحو النص"، وهو مصطلح يقابل "لسانيات النص" حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التّغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة، ولكّنها في مقابل ذلك تعدّها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، إضافة إلى علاقتها كذلك بالسيّاق الذّي انتجت فيه، وبمنتجها ومستقبلها." [6]

ثانيا- بين النص والخطاب والملفوظ والمحادثة:

1- في ماهية النّص:

أ-هل الجملة نص؟

"إنّه لا يتحدّث، حين يتحدّث بوجه عام، إلا في نصوص"[7]

"العلامات اللغوية لا يمكن أن ترد إلا مرتبطة نصيا، ولذا يمكن أن يكون لها معنى."[8]

استنادا إلى ما سيق، يتبن أنّ الجملة يمكن عدها نصا إذا ما ارتبطت بسياق.

ب- في مفهوم النص؛

---

[1] - كريستن أدمتسيك: لسانيات النص عرض تأسيسي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص: 19

[2]- أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص 3.

[3] - فان دايك : علم النص –مدخل متداخل الاختصاصات-، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص: 14.

[4] - نفسه، ص: 14.

[5] -نفسه، ص: 15.

[6] - نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب –دراسة معجمية-، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 1429 هـ/ 2009م، ص: 140.

[7] -كريستن أدمتسيك: لسانيات النص عرض تأسيسي، ص: 20

[8] - نفسه، ص: 20 .

ب-1- لغة:

جاء في معجم المقاييس أنّ: " النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء. ومنه نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه. ... ونص كل شيء: منتهاه."[1]

من مادة (ن ص ص)؛ " نصصت الشيء: رفعته. ونصصت الحديث إلى فلان، أي: رفعته إليه. وسيرُ نصٌّ ونصيص. ونصصتُ الرجلَ: إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. ونص كل شيء: منتهاه. ... ويقال: نصصتُ الشيء: حرّكتُه."[2]

ب-2-اصطلاحا:

وتطرق إلى تعريفه في كتابه المعنون بالقاموس الموسوعي لعلم اللغة فقال: "النص نظام جاف أو تضميني، ذلك لأنه نظام أساسي للدلالة ونحن حين نحلل الجملة نميز بين مقومات صوتية، تركيبية ودلالية كذلك نميز مثلها في النص دون أن تكون من نفس المستوى"[3]

2/ بين الخطاب والملفوظ و المحادثة

أ- الخطاب:

أ-1 – لغة:

من مادة (خ ط ب)، ومنه: " الخَطْبُ: الشأن أو الأمر، صغُر أو عظُم.... والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه، وهما يتخاطبان. وخطب الخطيب على المنبر، يخطُبُ خطابة. واسم الكلام الخُطبة. ... ورجل خطيب: حسَنُ الخُطبة. "[4]

ويذهب صاحب اللسان (ت 711 هـ) إلى أنّ الخطاب من مادة (خ ط ب)، يقول: " الخَطْبُ: الشأن أو الأمر، صَغُرَ أو عَظُمَ؛ وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟... والخَطْبُ: الأمر الذّي تقع فيه المخاطبة ... والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة..."[5]

أ-2. اصطلاحا:

"إن مصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للّغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معيّنة، والخطاب بهذا المعنى، لا يحتمل صيغة الجمع، يقال: (الخطاب)، و(مجال الخطاب) إلخ."[6]

قال: "...وإحدى خواص الخطاب كونه وقعت العناية به من وجهة نظر لسانية مخصوصة إذ اعتبر مثلا كإطار لما أصبح يسمى بنحو النص، في حين أن بنيات أخرى مخصوصة للخطاب ومعالجته صارت تبحث الآن في علم النفس المعرفي، الانثربولوجيا، علم الاجتماع والفلسفة.."[7].

- قوانين الخطاب: lois du discours

تمثل مبدأ التعاون وما يستند إليه من مبادئ يسميها غرايس حكم الحديث (..)، ويسميها بعض الباحثين مسلمات الحديث، وآخرون لاسيما ديكرو (قوانين الخطاب.)[8]

---

[1] - ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395 هـ): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دت)، الجزء 5، ص: 356.

[2] - الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ت 398 هـ): الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربيّة مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف- مراجعة محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، (دط)، 1430 هـ/ 2009 م، ص: 1142.

[3] - القاموس الموسوعي لعلوم اللسان الجديد

[4] - ابن سيده (..ت 458 هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق إبراهيم الأنباري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، مصر، ط 2، 1424 هـ/ 2003 م، الجزء 05، ص 75.

[5] - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأنصاري ت 711 هـ): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، المجلد 2 ، الجزء 14، ص: 1194، 1195.

[6] - دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2008 م، ص :38.

[7] - ينظر فان دايك :النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ،أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، (دط)، 2000، ص13.

[8] - ينظر دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 81، 82.

ب- الملفوظ:

"يطلق الملفوظ للدلالة على نتاج فعل التلّفظ (...)، إن هذا التلفظ متعدد المعاني ولا يكتسي دلالة بعينها إلا في صلب تقابلات شتى:

- من الوجهة التركيبيّة، كثيرا ما يوضع تقابل ما بين الملفوظ والجملة، باعتبار الجملة نوعا من الملفوظ، ويحدد الملفوظ هنا بوصفه وحدة اتصالية تبليغيّة أولية ومتوالية لغوية ذات معنى وتامة من حيث التركيب. ...

- وهناك لسانيون، ممن تبنوا المنظور التلفظي، ينظرون إلى الجملة كبنية خارجة عن الاستعمال، وتطابق عددا لا متناهيا من الملفوظات وفق التنوع غير المتناهي للسياقات الخاصة...

- على صعيد أعلى، يعتبر الملفوظ وحدة مساوية للنص، أو متوالية لغوية منوطة بمقاصد نفس المتلفظ، والتي تشكل كيانا لنوع خطابي معيّن: نشرة جوية، رواية، مقالة صحفية إلخ."[1]

ج. الحديث:

"الحديث ،من حيث معناه الواسع، يحيل على كل مقام للتخاطب، من تبادل للكلام العادي في صلب الأسرة إلى غاية الندوة الصحفية، والحال إن هذا المصطلح يستعمل في أغلب الاحيان بهذا المعنى عندما يتحدث عن تحليل الحديث (...).

أما من حيث معناه الضيق، ووفقا للاستعمال العادي السائر، فهو يستعمل للدلالة على نوع من الخطاب الشفوي: تبادل الكلام بين أناس متساوين في المنزلة نسبيا، حيث يكون التداول على الكلام حرا، والموضوعات قليلة الإكراه نسبيا"[2]

ثالثا: بين العلم والمنهج والمقاربة.

1- العلم

يمكن إجمال مفاهيم عدة للعلم، منها: [3]

- نشاط إنساني؛ الهدف منه هو: الوصول إلى القوانين العامة التّي تحكم الطبيعة، وبالتالي معرفة القوانين التي بموجبها يسير الكون (القوانين الإلاهية التي تحكم الكون).
- طريقة من طرائق البحث والتفكير.
- العلم نتاج مجموعة من القيم والأخلاقيات إضافة إلى الطريقة التي تسهم في تحقيق المعرفة.

*يتكون العلم من جوانب رئيسة، هي: الجانب المعرفي، والجانب الإجرائي، والقيم والأخلاقيات، ويمكن إجمالهما في المخططين الآتيين:

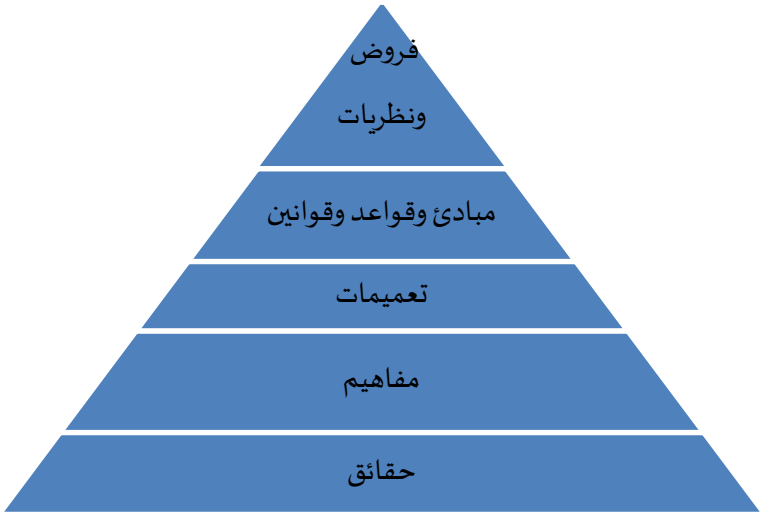

الشكل رقم (01): هرم يوضح الجانب المعرفي للعلم[4]

---

[1] - نفسه، ص: 51، 52.

[2] - نفسه، ص: 32.

[3] - ينظر ماجد أيوب القيسي: المناهج وطرائق التّدريس، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018 م ص : 15، 16.

[4] - نفسه، ص: 17.

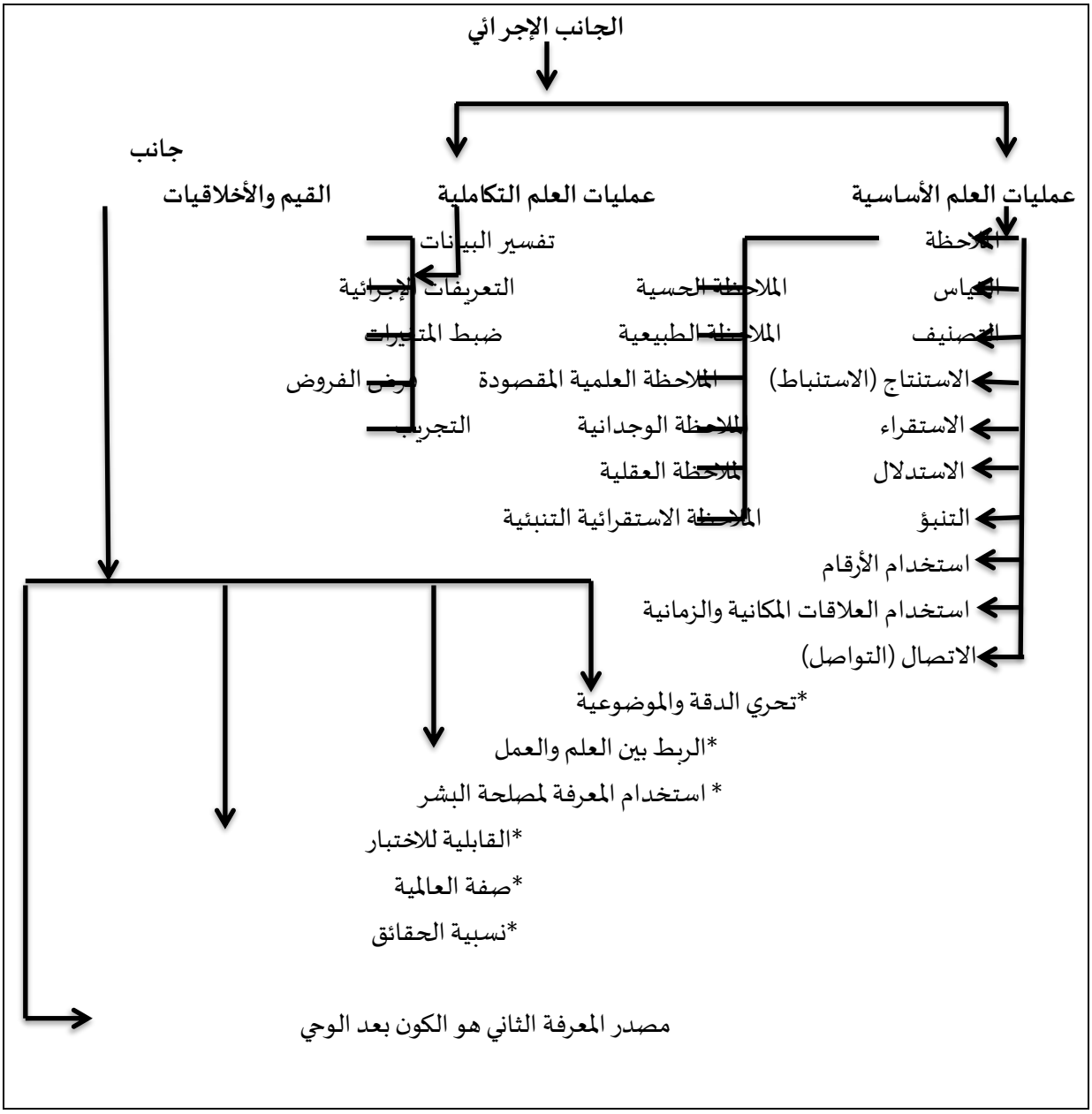

الشكل رقم (02) مخطط يعكس الجانبين الإجرائي والقيمي للعلم[1]

2- المنهج

أ- لغة:

من مادة (ن هـ ج)، يقول الزمخشري: " أخذ النهج والمنهج والمنهاج. وطريق نهج، وطرق نهجة. ونهجت الطريق: بيّنته، وانتهجته استبنته، ونهج الطريق وأنهج: وضح؛ ... "[2]

وفي معجم الوسيط: " نهج الطريق: نهجا ونُهُوجا: وضع واستبان. ويقال: نَهَجَ أمرُه... وأَنْهَجَ الطريقُ: وضح واستبان.... وانتهج الطريقَ : استبانه وسلكه. المنهاج: الطريقُ الواضحُ؛ وفي التنزيل العزيز: " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"- الخطة المرسومة. ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما. (ج) مناهج... وطريقة ناهجة: واضحة بيّنة."[3]

ب- اصطلاحا:

ب-1 – في اللسانيات العامة:

تنقسم مناهج البحث اللغوي إلى شقيّن؛ أحدهما عقلي، والآخر تجربي نقلي

---

[1] - ينظر ماجد أيوب القيسي: المناهج وطرائق التّدريس، ص: 19- 29 .

[2] - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري تـ538 هـ): أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1419هـ/ 1998 م، الجزء02، ص : 311 .

[3] - مجمع اللغة العربيّة : معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربيّة، ط04، 1425هـ/ 2004 م، ص: 957.

- مناهج البحث اللغوي العقلية التجريدية؛
- مناهج البحث اللغوي النقليّة التجريبية؛

ب-2 – في حقل التعليمية:

المنهاج هو : "مجموعة المعلومات المختلفة والمحدّدة في كل مادة من المواد التي تكسبها المدرسة للمتعلمين، بحيث تتضمن هذه المعلومات مجموعة من الحقائق والمفاهيم والمبادئ في مجالات المعرفة المختلفة (علوم، آداب، حساب، فنون، لغات،... إلخ). فهدف التربية القديمة هو نقل الإرث الثقافي من جيل إلى جيل خوفا عليه من الضياع، وشكّلت المادة العلمية محور العمليّة التربويّة."[1]

ب-3- في المناهج النقديّة وتحليل الخطاب:

يتمثل في مجموعة المناهج التّي تعمل على تحليل الخطاب النقدي، مثل المنهج الأسلوبي، المنهج السيميائي....

3- المقاربة:

أ- أصل المصطلح:

المقاربة مصطلح مترجم عن المصطلح اللاتيني (Approche)؛ ويعني: الاقتراب من الحقيقة اقترابا نسبيا (ليس مطلقا)، إذ المطلق من الأشياء لا يمكن تحديده أو إدراكه زمانيا أو مكانيا.[2]

ب- لغة:

ذهب الخليل في معجمه العين (باب القاف والراء والباء معهما) إلى أنّ المقاربة من مادة (ق ر ب)، يقول: " القُراب: مقاربة الشيء، تقول: معه ألف درهم أو قراب ذلك، ومعه ملء قدح ماء أو قرابه. ... والقُرب: ضد البعد، والاقتراب: الدنّو. والتقرّب: التدنّي والتّواصل بحق أو قرابة. ... وفلان يقرب أمرا أي يعزوه بقول أو فعل."[3]

زجاء في معجم الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربيّة- أنّ المقاربة من مادة (ق ر ب)، " والتقريب: ضرب من العدو، يقال قرّب الفرس، إذا رفع يديه معا ووضعهما معا في العدو،... وقاربته في البيع مقاربة، وشيء مقارِب بكسر الراء، أي وسط بين الجيّد والرديء... والتقارب ضد التباعد. أقربت المرأة، إذا قرب ولادها. "[4]

ج- اصطلاحا:

إذا أردنا الوقوف عند مفهوم المقاربة، فإنه ينبغي علينا حتما الإلمام به في ميادين عدّة، منها التعليميّة، وتحليل الخطاب ولسانيات النص.

ج-1 : التعليمية:

بالوقوف عند مفهوم المقاربة من منظار تعليمي ديداكتيكي، نجد أنّ المصطلح يعني:[5]

- استراتيجية؛
- تصور منتهى عملية تعليميّة.
- نظرية.
- تكتيك
- طريقة
- تواصل.

---

[1]- أسما ريس الياس وسلوى "محمد علي" مرتضى، (ط1، 2015م)، اتجاهات حديثة في تصميم وتطوير المناهج في رياض الأطفال، دار العصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: 17.

[2] - ينظر مغزي بخوش محمد: مقاربات التّدريس –أصالة، تطور وعصرنة-، علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة، الجزائر، (دط)، (دت)، ص: 07.

[3] - الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ 175 هـ): كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دط)، (دت)، الجزء 05، ص: 153، 154.

[4] - الجوهري: الصحاح، ص: 925.

[5] - ينظر مغزي بخوش محمد: مقاربات التّدريس، ص: 07

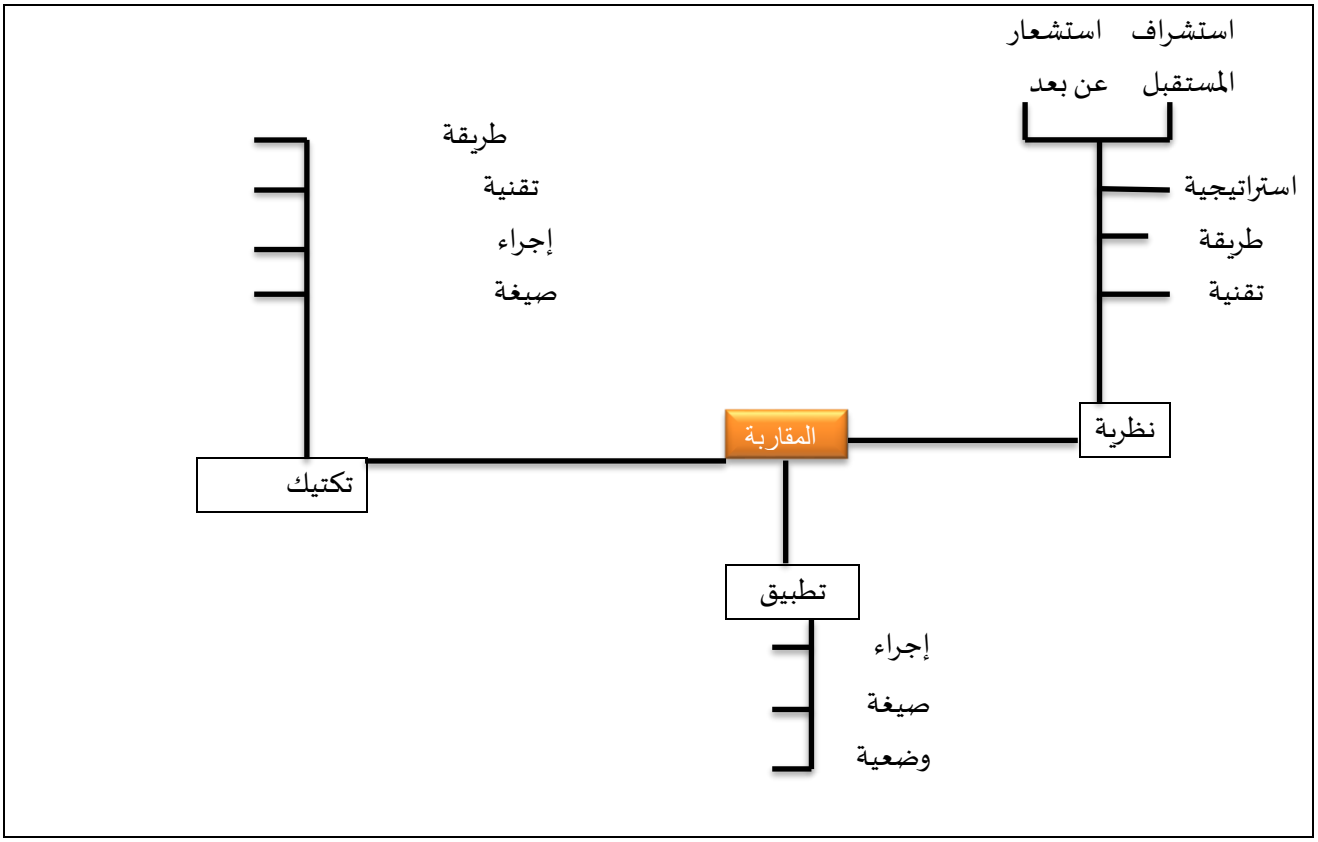

الشكل رقم (03)، مخطط يوضح دلالة المقاربة من منظار ديداكتيكي[1]

ج-2 : من منظار لساني:

ومن منظار لساني سيأخذ المصطلح في الدراسات النصية لسانيات النص و تحليل الخطاب، مفهوما شبه متقارب؛ إذ إن كل محاولة لإسقاط أية آلية من آليات علم بعينه على خطاب، تسمى المقاربة.

الخاتمة:

نخلص من خلال ما سيق إلى أن المصطلحات النصية تتداخل وتتضارب بفعل الترجمة، أو محاولة إقحام مصطلحات بديلة تصب في نطاق العلم نفسه، فإذا وقفنا عند لسانيات النص، نجد ترجمات عديدة للمصطلح الوافد، منه علم النص، فعلم النص أوسع وأشمل، حيث يضم كل العلوم التي تعمل على دراسة النصوص بأشكالها.

[1] - نفسه، ص: 08.